المقتطف

الجزء الاول من المجلد التاسع والستين

١ يوليو (تموز) سنة ١٩٢٦ — الموافق ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٤٤

المقتطف واثرهُ في النهضة الشرقية

خطبة السر سعيد شقير باشا

ايها السادة والسيدات

رغب الي السواد الاكبر من السوريين المقيمين في البرازيل ان امثلهم في هذا الاحتفال وان انوب عنهم بحمل رسالة بعثوا بها الى لجنة الاحتفاء بعيد المقتطف الذهبي يعربون فيها عن رغبتهم في الاشتراك بتكريم صاحبيه و يقدمون اليهما تمثالاً من البرنز تذكاراً لهذا العيد ورمزاً عملياً فنياً الى جهادهما في سبيل العلم والصناعة وقد نقش على بطاقة من الذهب على التمثال هذان البيتان من نظم الشاعر المشهور فوزي افندي المعلوف :

هذا مثال عروس العلم حاملةً ... اكليل غار الى شيخ المجلات
يُهدى على ذهب اكراماً وعسى ... يهدى على الماس في يوبيله الآتي

وقد طلب فريق من هؤلاء ، سقط رؤوسهم حاضرين وميمس ، والاولى بلدة احد صاحبي المقتطف، ان يُقدَّم اليهما ،بالنيابة عنهم خاصة ،هدية ذهبية وهي دواتان وقلمان من الذهب في هذا العيد الذهبي رمزاً الى العمل الكتابي الذي قاما به كل هذه السنين الطوال، ووعد خريجو جامعة بيروت في مصر ان انوب عنهم في تقدمة ساعتي مكتب رمزاً الى الوقت الذي قضياهُ في كتابة المقتطف والى حرصهما الشديد على الدقائق والثواني في خدمة الادب والعلم

وهذه الهدايا امامكم وانتم شهودي العدول اني أدّيت الامانات الى صاحبيها

اما رسالة سوريي البرازيل فهي هذه :

سان باولو في ٩ ت ٢ (نوفمبر سنة ١٩٢٥)

حضرات الافاضل اعضاء لجنة الاحتفاء بيوبيل المقتطف الذهبي المحترمين

لقد ورد لي بأنكم ارسل الينا كلام بليغ وجميل عن اخواتكم في العالم الجديد تكرمتم بذكرهم وتطلتم بدعوتهم الى الاشتراك معكم في الاحتفاء بيوبيل المقتطف الذهبي ، فنحن اعضاء لجنة المعجبين بالمقتطف في البرازيل وطوري نضم تقدم اليكم بخالص الشكر ومزيد الثناء ليس على هذه الدعوة وتلك الذكرى فقط بل ايضا على ما ابديتموه من الفضل باظهاركم فضل المقتطف فالفضل يعرفه ذووه

ايها السادة الافاضل

لا ريب في انكم تعرفون اذ تعلمون اننا نحن اخواتكم القاطنين هذه البلاد لا نزال على الاحتفاظ الشديد بلغتنا العربية وبعاداتنا الشرقية عامتا بان لغتنا هي ارقى اللغات وعاداتنا اشرف العادات

مرت علينا في ديار هجرتنا السنون الطوال تعاقبت في اثنائها علينا عوامل متباينة عوامل قوية ومتعددة ، عوامل خارجية وداخلية كانت وما برحت الى هذه الساعة تتجاذبنا تارة الى نبذ وطننا الاصلي وهجر لغته وعاداته وطوراً الى البقاء على الحنين الى ذلك الوطن المفدى مهما تغلبت عليه الاحوال ومهما اجتمعت عليه المصائب . فكنا ولا نزال اميل الى سورية والسوريين والى لغة سورية وعادات السوريين منا الى غير اوطان وغير لغات ، وذلك رغما عن بعد الدار وشط المزار

ومما لا شك فيه ان المقتطف الذي تأثر كل هذه السنين الطوال على تلك الينا مآثر الشرق وعلوم الغرب بلغة الشرق لهو عامل قدير في احتفاظنا الشديد بلغتنا وبقوميتنا

فالى المقتطف بواسطتكم ايها الافاضل ترسل من هذه البلاد البعيدة تهانئها الخالصة لاجتيازه هذه المرحلة الطويلة . وتشاركم برغبة حارة في الاحتفاء بيوبيله مقدمين له بواسطتكم ايضاً عربون التهنئة والمشاركة رمزاً عمليا فنيا ينوب عنا في حفلة تكريمه هذه تأطنا بلساننا ان المقتطف خير من احتفي به لانه نفع قومه نفعا كبيراً وخالداً فانما خيركم خير لقومه والسلام

عن اللجنة
الدكتور سعيد ابو جره

وحبذا لو ان مهمتي انتهت هنا وكان حظي بعدها حظ السامعين فقط فلا تثوب لذتي شائبة ولكن خريجي جامعة بيروت بالاميركية التي تخرّج فيها صاحبا المقتطف اولوني بلسان لجنتهم المركزية شرف النيابة عنهم في هذا الاحتفال وهم يريدون مني ان اقول كلمة أفصح بها عمّا يختالج صدورهم من الشعور بالجميل نحو المقتطف وصاحبيه وان ابيّن ما كان لكتاباته ومباحثه من الاثر في النهضة الحديثة في البلاد الشرقية وبعبارة ادق في البلاد التي يتكلم اهلها العربية

وقد تكرمت لجنة الاحتفاء فاجابتهم الى رغبتهم فلم يبقَ نصيبي من الحفلة نصيب السامعين فقط بل اصبح نصيب المتكلمين ايضاً فأحرج مركزي وأصبحت نظراً الى صنفي

الشخصية التي لا استطيع ان اجرّد نفسي منها بتاتاً في حيرة ولا حيرة الضبّ وذلك من حيث ما اقول والمدى الذي اطلق العنان فيه للكلام دون ان اخشى المثار . فانّ الدكتور بن صرُّوف ونمر كانا استاذيّ في الجامعة الاميركية في بيروت فلهما عليّ ما للاستاذ على التلميذ . ولما انقضى عهد التلمذة ودخلت معترك الحياة كان من نصيبي مصاهرة احدهما فاصبح بعد ان كان استاذي حميّ ايضاً وذا فضل عليّ من وجهين

وعليه فاذا لم اطلق لنفسي العنان في الكلام عنهما فمعذرتي الخوف من ان ينسب اليّ الغرض بسبب صلة الادب والنسب . واذا جمح بي اللسان واسهبت في بعض المواقع خلافاً لما تتوقعون من رجل لهُ بهما الصلة السالفة الذكر فمعذرتي صدر مفعم بالشكر يتدفق منهُ ما لا يقوى على ضبطهِ ، ونيابة عن جمهور كبير من خرّيجي جامعة بيروت الاميركية ليست لهم بهما هذه الصلة

وهذا الامل بمعذرتي في كلتا الحالتين يهوّن عليّ حرج موقفي ويجعل لي بعض الجرأة على الكلام

نشوء المقتطف

وُلد المقتطف في بيروت في شهر مايو سنة ١٨٧٦ وكان حين ولادتهِ صغير الجسم نحيل الجسم حتى خيف ان لا يعيش لاسيما وان العلل التي كانت تنتاب المواليد نظيرهُ في سورية في ذلك العهد كانت كثيرة ووسائل العلاج قليلة

ولكن عناية والديهِ جعلتهُ يشبّ نموّاً مطّرداً حتى اذا بلغ السنة السادسة من عمرهِ ذهب فحولهُ واشتد ساعدهُ . ولما بلغ السنة التاسعة طرأت امور لم تكن في الحسبان جعلت والديهِ يوجسان خيفة من القضاء عليهِ لو بقي في سورية فحملاهُ واتيا بهِ الى مصر

ومصر منذ القدم، منذ عهد يوسف بن يعقوب، ويوسف رجل مريم، معقل الاحرار وملجأ المضطهدين . فرحبت بهِ ولم تكتفِ بذلك بل تبنتهُ فشب فيها طليقاً حرّاً . وقد تمّ الآن السنة الخمسين من عمرهِ ونحن اليوم نحتفل بعيدهِ الذهبي على اختلاف مذاهبنا ومشاربنا

قلت ان اول جزء من المقتطف صدر في بيروت في مايو سنة سنة ١٨٧٦ فان منشئيهِ كانا من اساتذة الجامعة الاميركية، احدهما يدرّس الفلسفة الطبيعية والرياضيات، والآخر يدرّس علم الهيئة واللغة اللاتينية . وكانت مكتبة الجامعة الواسعة والجرائد الاوربية والاميركية التي تأتيها باحثة في العلم والفلسفة والصحة والعلاج، درج ايديهما

يستخدمانها كيف شاءا وكذلك الآلات والادوات العلمية التي في معاهدها المختلفة . وكان اساتذة الجامعة في كل فن ومطلب ، ولا سيما الدكتور فانديك والدكتور ورتبات والدكتور بوست والدكتور لويس ، على مقربة منهما يستمدان من علمهم و يسترشدان باختبارهم فيما يتعلق بالدروس التي تخصّصوا لالقائها من علمية وفلسفية وطبية . ولذلك وجدا تشجيعاً في مركز قلّ نظيرهُ وفي احوال ملائمة نادرة المثال لخدمة الشرق على العموم وابناء العربية على الخصوص باذاعة العلوم والمعارف بينهم . ورأيا ان خير وسيلة لذلك هي انشاء مجلة شهرية باللغة العربية تنير الاذهان بمباحثها ولا سيما ما كان عملياً منها بعبارة صحيحة لا تعلو حتى يصير على العامة فهمها ولا تسفل حتى تنكرها الخاصة . وتنقل الى المتعلمين منهم مآثر الشرق وتاريخهُ وما جدّ في العالم الغربي من الاكتشافات والاختراعات والمباحث العلمية والفلسفية شهراً بعد شهر وعاماً بعد آخر فانتدبا الهمة للقيام بهذا الواجب المقدس وصحّت عزيمتهما عليهِ فاصدرا المقتطف في اربع وعشرين صفحة من صفحاتهِ الحالية وفي السنة الثانية ناطا ادارة اشغالهِ بالمرحوم شاهين بك مكاريوس الذي لم يفسح الله في اجلهِ لترى عيناهُ هذا الاحتفاء بالمنزلة التي بلغها المقتطف في عيون ابناء الامة العربية

وبعد ذلك دأبا يسعيان في اتقانهِ وتحسينهِ عاماً بعد عام على رغم المشقات التي اعترضت سبيلهما وما اقتضاهُ نشرهُ من التضحية المادية والادبية خدمة للبلاد الشرقية والمعارف حتى بلغ الجزء الواحد منهُ في سنتهِ السادسة اربعاً وستين صفحة

وكانت البلاد السورية في ذلك العهد في حالة اضطراب سياسيّ والتضييق على الجرائد بالغاً اشدهُ وكانت الشبهات تحوم حول كل صاحب جريدة او مجلة وكل عضو في جمعية ادبية او علمية ظنًّا من الحكومة ان وراء الثوب العلمي او الادبي غاية سياسية يقصد منها اثارة فتنة في البلاد والانتقاض على نظام الحكم

فرأيا في سنتهِ السادسة ان يهجرا بهِ سورية كما سبقت الاشارة و يهبطا مصر فوجد فيها بيئة صالحة وشعباً يقدر زعماؤهُ المعارف والخدمة في سبيلها حق قدرها فنما فيها نموًّا حسناً حتى بلغ مائة وعشرين صفحة في الشهر واصبح تاريخاً عاماً شهريًّا لكل ما يحدث في معاهد العلم واندية الزراعة والصناعة في العالم ومدرسة سيّارة درج ايدي جميع الناطقين بالضاد اينما كانوا

ارتقاء الصحافة الشرقية

والآن ارجو ان تلقوا معي نظرة الى الوراء لنستعرض ما كانت عليهِ البلاد التي يتكلم اهلها العربية منذ خمسين عاماً وما اصبحت فيهِ من الرقي في جميع اشكالهِ . ونظراً الى ضيق الوقت سأمر بالمشاهد مرَّ السحاب جاعلاً أكثر الكلام على مصر لكي لا يتولاكم السأم ولأن مصر قد فاقت جميع البلاد الشرقية التي يتكلم اهلها العربية في كل شوط من اشواط الرقي

اذا كانت الصحافة كما قال بعضهم عنوان الامة ودليل المدنية يُعرف بها قسط كل شعب من الرقي والحضارة فحسبي ان اقول لبيان مدى تقدمنا في نصف القرن الاخير انهُ لم يكن في مصر منذ خمسين عاماً سوى تسع صحف عربية بين يومية ونصف اسبوعية واسبوعية . منها الوقائع الرسمية اقدم الجرائد العربية الحية حتى الآن . ولعلهُ لم يكن في جميع البلاد التي يتكلم اهلها العربية أكثر من خمسين صحيفة اقدمها في سورية جريدة حديقة الاخبار لصاحبها المرحوم خليل افندي الخوري وكانت سياسية أكثر منها ادبية او علمية

فاصبحنا اليوم وفي مصر وسورية وحدهما نحو مائتين وخمسين صحيفة منها طائفة ليست بقليلة تعدُّ من ارقى صحف العالم في لغتها ومباحثها على مختلف انواعها من سياسية وادبية واجتماعية وعلمية

ولعل اتساع الحركة الادبية واثر الصحافة فيها يظهران بأشدّ جلاء اذا نظرنا الى هذه الحركة من خلال احصاءات البوسطة المصرية فان عدد الجرائد والمطبوعات التي تنقلها البوسطة منذ خمسين عاماً كان نحو ٤٥٠ الفاً في العام فاصبح الآن نحو ٣٥ مليوناً عدا ما يباع في الاسواق ولا تنقلهُ البوسطة

وبعد ان كان منذ خمسين عاماً لا يصدر في العام سوى بضعة كتب لا تصادف اقبالاً ولا يذكر لمؤلفيها فضل ولم يكن في مصر وسورية سوى عدد يسير من المطابع لا يجاوز العشرين اصبحنا لا نمرّ بنا عام في هذه الآونة الأو يصدر فيهِ مئات من الكتب الانيقة والرسائل النفيسة باحثة في مختلف المواضيع وارقاها من علمية وتاريخية وفكاهية وصناعية وزراعية ومالية واقتصادية وهي إمّا موضوعة واما منقولة . واصبح عدد المطابع يربي على الثلاثمائة منها في مصر وحدها نحو مائتين وخمسين مطبعة بين كبيرة وصغيرة

وبعد ان كان عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة في مصر ضئيلاً جدًّا وعدد الطلبة في المدارس نحو ١٤٠ الفاً معظمهم في المدارس الابتدائية اصبح عدد الذين يعرفون

القراءة والكتابة يتيف على مليون وعدد طلبة المدارس يربي على ستمائة الف وجانب كبير منهم في المدارس الثانوية والعالية . ولا تزال الشكوى شديدة من قلة المدارس والطلب مستمر على ان التعليم يجب ان يزيد تنشيطاً

ولم يكن في مصر منذ خمسين عاماً سوى مدرستين ابتدائيتين للبنات تضمّان نحو اربعمائة وثلاثين بنتاً . فاصبح في القطر الآن نحو ٣٦٠ مدرسة للبنات خاصة ونحو ثلاثة آلاف وثلاثمائة مدرسة للصبيان والبنات معاً وعدد البنات اللواتي يتعلمن يبلغ نحو مائة وعشرين الفاً والخشيةُ على زيادة العناية بتعليم المرأة وتهذيبها شديد من كل صوب . وكان ما ينفق على التعليم العمومي نحو ٤٠ الف جنيه في العام فاصبح يتيف على مليوني جنيه . ولم تكن الحال في سورية احسن الاّ من حيث تعليم المرأة فان مدارس البنات كانت نحو ٣٠٠ مدرسة ولكن عدد الطلبة في جميع المدارس من ذكور واناث لم يكن يزيد على ستين الفاً فاصبح الآن اضعاف اضعاف هذا العدد . ففي الجامعة الاميركية في بيروت وحدها مثلاً زاد عددهم من نحو ٧٧ تلميذاً سنة ١٨٧٦ الى ١١٨٣ تلميذاً هذه السنة . ولكن لنترك سورية الآن فان شؤونها لا تسمح لنا بالمقابلة بين ما كانت عليهِ وما امست فيهِ ولنعد الى مصر

رقي العمران في مصر

كيفما قلّب المرء طرفهُ في هذا القطر يرى دلائل الرقي في كل دائرة من دوائر الحكومة وفي كل مرفق من مرافق الحياة وفي كل شأن من شؤون الامة في الزراعة والصناعة والتجارة والمحاكم والصحة والسجون والتنظيم والتعاون الاقتصادي . فقد كانت قيمة الصادرات والواردات معاً منذ خمسين سنة نحو عشرين مليوناً من الجنيهات فاصبحت اليوم نحو مائة وعشرين مليوناً . وكان دخل الجمارك المصرية نحو ستمائة الف جنيه فاصبح نحو احد عشر مليوناً . وكان محصول القطن نحو مليوني قنطار فاصبح اكثر من سبعة ملايين قنطار . وكان دخل الحكومة من مواردها المختلفة نحو ستة ملايين جنيه فاصبح نحو خمسة وثلاثين مليوناً . وكان طول خطوط السكة الحديدية نحو الف وخمسمائة كيلو متر فاصبح طول هذه الخطوط اليوم نحو اربعة آلاف واربعمائة كيلو متر . وكان عدد السكان نحو ستة ملايين فاصبح نحو اربعة عشر مليوناً

ولا حاجة بي لان احملكم عناء سماعي واقف بكم للمقابلة التفصيلية بين ما كانت عليهِ البلاد وما اصبحت فيهِ في كل فرع من فروع صناعتها وفي كل باب من ابواب

تجارتها وفي كل نوع من أنواع زراعتها وفي كل مظهر من مظاهر نموها من حيث عقلية شعبها وعدد المتفوقين من افرادها في العلم والصناعة والزراعة والامور المالية والاقتصادية وفي كيفية الحكم وتأدية الواجب في المناصب العامة وغير ذلك

انظروا الى القاهرة والاسكندرية وغيرهما من عواصم المديريات تروا الفرق العظيم بين ما كانت عليهِ منذ خمسين عاماً وما وصلت اليهِ من حيث انتظام شوارعها واتساعها وكثرة الاشجار والحدائق فيها وانارتها ونظافتها واهتمام رجال الصحة والتنظيم بشؤونها الصحية ومن حيث مبانيها الشاهقة وقصورها الباذخة ومتنزهاتها ومحالّها العمومية ومخازنها ووسائل النقل فيها وغير ذلك مما يطول شرحهُ فان هذه العواصم قد اصبحت تضارع بعض عواصم اوربا ومدنها الكبيرة وهي لا تزال في سعي حثيث للترقي الى مصاف اعظم العواصم واحسنها نظاماً

وانظروا ايضاً الى المعرض الصناعي الزراعي الذي اقيم في هذا العام فان من جال فيهِ جولة وقابلهُ باول معرض اقيم في القاهرة منذ نحو ثلاثين عاماً بل بأي معرض من المعارض الاحد عشر التي اقيمت قبلهُ يرى رأي العين المدى الذي اجتازتهُ البلاد في صناعتها وزراعتها . فان السلطان حسيناً ابا الفلاح كان في المعارض الاولى يدفع الاموال للصناع والتجار والفلاحين ليأتوا بمعروضاتهم ، واليوم يتهافت الشعب على المعرض بمعروضاتهم من تلقاء انفسهم . وكانت المعروضات الصناعية كلها اجنبية واليوم بات الجانب الاكبر منها وطنياً واصبح طلبة المدارس الصناعية يديرون الوابورات والآلات التي صنعتها ايديهم والصنّاع الوطنيون يعرضون من الآنية والادوات والاثاث ما يضاهي الصناعة الاجنبية بالتقان و يفوق البعض منها

ومما ترتاح اليهِ النفوس وتنشرح لهُ الصدور من امر معرض هذا العام هو دلالتهُ الناصعة على التقدم الباهر في عقلية عامة الشعب المصري . فان عدد الذين زاروا اول معرض اقيم في القاهرة لم يتجاوز الالفين من الانفس والذين زاروا المعرض الثاني لم يتجاوزوا عشرة آلاف نفس في كل المدة التي بقي فيها مفتوحاً في حين ان عدد الذين زاروا معرض هذا العام بلغوا في يوم واحد خمسة وسبعين الفاً

وليست هذه النهضة القومية للرقي بكل معانيهِ وفي مختلف نواحيهِ في مصر فقط بل هي في سورية والعراق وسائر البلاد التي يتكلم اهلها العربية وان تكن الدرجات متفاوتة فان التربة في مصر اصلح للنمو عموماً هي في سواها من البلاد الشرقية فكان الرقي اسرع ظهوراً

ونتائج النهضة اشدّ جلاء . فما هي العوامل التي ادّت الى هذه النهضة يا ترى ؟

الصحافة من عوامل النهضة

ان العوامل كثيرة ولكن ممّا لا ريب فيهِ ان للصحافة اليد الطولى في هذه النهضة ولست مغالياً في قولي هذا او مكتشفاً امراً جديداً عن الصحافة لم يجاهر بهِ اساطين السياسة وكبار العلماء وقادة الافكار ولاسيما بعد ان اكتشف غوتنبرج وفوست فن الطباعة الحديثة في اواسط القرن الخامس عشر

فان نابليون كان يرى ان الصحافة من اعظم دعائم الحضارة والعمران، وكان من رأي فولتير ان الصحافة ستهدم العالم القديم وتنشئ عالماً جديداً . ومن رأي جيمس بارتون ان الصحافة هي المدرسة الجامعة الكبرى للشعب لان نصف السكان في اوربا واميركا لا يقرأون شيئاً سوى الصحف وكان يقول ان من يعرف هذه الحقيقة لا يستطيع ان يتصور ما للصحف من الشأن العظيم في تمدين الفارتين ورفع مستوى الامم فيهما . وكتب لامارتين انهُ لابد ان يأتي يوم يصبح عمل المطابع مقصوراً على طبع الصحف فتدوّن الافكار حالما تتولّد وتنقل بسرعة البرق الى اقطار المسكونة الاربعة . فان تطوّر العلم وسرعة التقدم في كشف الحقائق ممّا يجعل الكتب قليلة الفائدة لان الوقت الذي تستغرقهُ كتابتها يجعل ما فيها لدى نشرها وراء العلم الحديث بمراحل وان الكتاب الوحيد ذا الفائدة الوافية بالغرض في رأيهِ هو الصحيفة اليومية او المجلة الاسبوعية او الشهرية . فالعلم نور ويجب ان يسير بسرعة النور ولا سبيل الى ذلك بغير الصحف

واذا ثبت ان للصحف اليد الطولى في نهضتنا الشرقية للاسباب التي سبقت الاشارة اليها فما لا ريب فيهِ ايضاً ان للمقتطف شيخ المجلات العلمية نصيباً وافراً فيها

عمل المقتطف

منذ خمسين عاماً والمقتطف يجاهد في نشر العلوم الصحيحة والمعارف الراقية في البلاد الشرقية ولاسيما مصر وسورية والعراق وينقل الى القراء في هذه البلاد خلاصة ابحاث العلماء والفلاسفة في كل فن ومطلب في العلم والصناعة والزراعة بلغة عربية صحيحة ظن البعض انها لا تسع التعبير عما جد من الامور العلمية الحديثة

ومنذ خمسين عاماً والمقتطف يحضّ على الاخذ على المعاهد العلمية والصناعية وينادي الحكومة والامة للاقتداء بالغربيين في هذا العمل ناشراً في كل فرصة تتاح لهُ ما تنفقهُ الحكومات على التعليم وما يقوم بهِ افراد الامة وكرماؤها في كل بلاد في سبيل احياء

العلم . فانهُ قلَّما وهب مثري في اميركا او اوربا هبة الاَّ نشرها المتنطف واتخذها ذريعة لبثّ روح الكرم العلمي في الشرقيين وحضّ اغنيائهم على الاقتداء به مظهراً فائدة هذه الهبات في رقي العلم في اوربا واميركا واثر ذلك في نهضة البلاد ادبيًّا ومادّيًّا واتجاهه تمدنها الى الجهة الصالحة القويمة . وبالامس نشر ما وهبهُ الانكليز والاميركان في عام ١٩٢٤ لجامعاتهم قائلاً ان الهبات في اميركا وحدها بلغت في العام نفسهِ ١٦ مليون جنيه وعقب على ذلك بان بلاداً يجود اغنياؤها بهذه الملايين على التعليم لا بد ان تفوق سائر البلدان[1]

ومنذ خمسين سنة والمتنطف ينير الاذهان ويضرب على الاوهام التي كانت متأصلة عند الكثيرين من ابناء الشرق وكانت عاملاً من عوامل التقهقر والانحطاط فكم قاوم الشعوذة وناوأ القائلين بمناجاة الارواح وكذّب المنادين بصحة السحر والتنجيم وفضح اسرار المدعين معرفة المستقبل وتفسير الاحلام . وكم استأصل من الخرافات التي كانت سائدة على كثيرين من عامة الناس باظهار خطإها والبرهان على فسادها وذلك بالادلة العلمية والادلة المنطقية . وكم افاد الزارع والصانع واجاب عن مسائل المستفيدين في باب الاسئلة واجوبتها معتمداً على ثقات الرواة ومجربي العلماء والصناع من اوربا واميركا

وكم من أمير ووزير ورئيس مصلحة ووجيه وذي مكانة في قومهِ في هذه البلاد وسواها قرأ فيهِ ما عاد بالخير على بلدٍ من بلاد الغرب من اصلاح علمي او زراعي او صناعي او ادبي او اكتشاف او اختراع فأدخلهُ الى بلادهِ وكان من ورائهِ نفع كبير من الوجهتين الادبية والمادية

---

(١) هذا نص ما قاله في جزء شهر يونيو سنة ١٩٢٥ :

« لا يزال الانكليز والاميركيون اسخى امم الارض على التعليم فقد بلغ ما وهبه الانكليز لجامعاتهم في العام الماضي ٨٩٨,٠٠٠ جنيه منها ٢٤٣٠٠٠ من وقف ركنفلر الاميركي والباقي وهو ٦٥٥٠٠٠ منهم . ولكن الهبات الانكليزية للمدارس الجامعة على كبرها لا تذكر في جنب الهبات الاميركية في اسبوع واحد من شهر ديسمبر الماضي بلغت الهبات الاميركية ١١٠٠٠٠٠٠٠ مليونا من الجنيهات فان رجلا اسمه ديوك وهب او يعين مليون ريال لانشاء جامعة في ولاية كارولينا الشمالية التي هو منها . والمستر ايستمان صانع الكودك وهب جامعة روشستر نهاية ملايين ونصف مليون ريال ووهب معهد مستشوستس الصناعي اربعة ملايين ونصف مليون ريال فبلغت هباته لهذا المعهد ١٥ مليونا من الريالات . ووهب معهد هيتن ومعهد تسكجي ومعاهد اخرى لتعليم زنوج اميركا مليوني ريال . ويظهر مما نشره ديوان التعليم في اميركا ان الهبات لجامعات والكليات والمدارس الصناعية بلغت في العام الماضي ٧٧ مليون ريال او نحو ١٦ مليون جنيه فبلاد يجود اغنياؤها بهذه الملايين على التعليم لا بد من ان تفوق سائر البلدان »

وهذا دولة الوزير رياض باشا شيخ المزارعين المصريين يقول لصاحبي المقتطف منذ اربعين عاماً حينما زارا ابعديتهُ بحلة روح وقد افرك القمح وكان في اقصى درجات الخصب لا تقل غلة الفدان منهُ عن سبعة ارادب او ثمانية :

ان الفضل في خصب هذا القمح يعود الى هذا السباخ . واشار الى كومتين كبيرتين من السباخ البلدي . والفضل في عمل هذا السباخ يعود الى ما كتبهُ المقتطف في سنتهِ الثانية عن عمل المخمر

وفي المقتطف كثير من رسائل قارئيهِ في جميع البلاد ناطقة بالفوائد التي جنوها منهُ في الصناعة والزراعة والعلم حاوية ما جرّبوهُ مما يشير بهِ فثبتت صحتهُ وعاد عليهم بالنفع الجزيل . وباب المسائل فيهِ دليل ناصع على الاتجاه اليهِ في المعضلات لمعرفة ما يشكل فهمهُ او يصعب حلّهُ او فيما لم يعثروا على المصدر الذي يمكنهم الرجوع اليهِ لتزيد معارفهم في علم او فنّ كتب عنهُ او اشار اليهِ

مباحث المقتطف

واما الآن الاجزاء التي صدرت من المقتطف من اول هذا العام اي من يناير الى ابريل وهي كافية للدلالة على سعة دائرة المستفيدين منهُ

فان فيها مسائل من القطر المصري عن القطن وسعره والطباعة والتجليد وفعل الحشيش وتأثير الكوكايين والخمر وصنعها . ومن سورية ولبنان عن عدم حمل شجر الزيتون كل سنة . ومن فلسطين عن المجلات العلمية الشهرية الانكليزية وكيفية ابقاء الجسم نحيفاً والارض وعصر الاحياء واسباب اليرقان وعلاجهِ . ومن بغداد عن مرض الكساح وشفائهِ وترجمة كتاب الغرور لماكس نوردو وتعليل الطرب بالموسيقى وتمدد المادة وماهيتهِ . ومن الزبير بالعراق عن المؤلفات في الجبر العالي . ومن الموصل عن التربة عند قدماء المصريين والحمام الشمي وسبب الزكام وعلاجهِ . ومن ورزبرج بالمانيا عن مجلات الطب الباطني ومؤلفات جبران خليل جبران . ومن جولاكا بالبيرو عن عدد متكلمي اللغة العربية وعن البينا والسل . ومن ماستشوستس باميركا عن السل وكبار السن واصل كذبة نيسان . ومن جاواه عن شكل حكومة ايران وحكومة روسيا وحقيقة السحر وتاريخ لبس البرقع والزمن الذي وجد فيهِ آدم . ومن فينا عن لويس الاول امبراطور المانيا وملك فرنسا . ومن زنجبار عن الجوهر والجوهر الفرد وسبب بياض الشعر وسكان جزيرة سرنديب . ومن البرازيل عن استقلال مصر وسبب عدم زراعة البن فيها ومقام انكلترا

المالي وديونها ومن سنترال فولز رود ايلاند بالولايات المتحدة عن تيورلنك ومن نيويورك عن اكبر المكاتب العمومية وغير ذلك من المسائل من مختلف البلدان

ولو شئت ان اذكر شيئاً من مختلف المواضيع التي طرقها المقتطف وافاض في البحث فيها لفائدة قرائهِ في كل ابواب العلم والفلسفة والتاريخ والصناعة والزراعة والتجارة لامتد بي الكلام الى ما لا يحتمل بعضهُ هذا المقام . وما على الباحث الاَّ ان يفتح مجلداً واحداً من مجلداتهِ لاي سنة كانت بل جزءاً من اجزائهِ الشهرية فيرى معرضاً من المقالات النفيسة والرسائل الانيقة حاوية زبدة ما آلت اليهِ ابحاث العلماء في كل فن ومطلب وما دبجتهُ اقلام الكتبة والادباء وجادت بهِ قرائح الشعراء واسفرت عنهُ تجارب الصناع والزراع في كل بلاد

واليكم بعض المباحث التي تضمنها جزءان منهُ : الاول الذي صدر في مايو سنة ١٨٧٦ والاخير الذي صدر في ختام سنتهِ الخمسين اي في ابريل هذا العام للدلالة على سعة البحث ومراميهِ

ففي جزئهِ الاول الذي صدر سنة ١٨٧٦ مقالة في عمل الزجاج وبحث فلكي في القمر ووصف اراضيهِ وطبيعتهِ وآراء المتقدمين فيه ومقالة في المكرسكوب وكلام على علماء الهيئة عند العرب . ونبذة في اللغة الحميرية والقلم المسند واخرى في الصباغ الاحمر المعروف بدم العفريت وتفصيل عن المطر واسبابهِ ونبذ عملية موجزة في حفظ اللحم والماء من الفساد وفي اختراع التلغراف وفي المغنطيس وفي الزلازل وغير ذلك

وفي جزء ابريل الاخير من هذا العام مقالات وابحاث ونبذ كثيرة في اهم مواضيع هذا العصر فمنها مقالة عنوانها الحرب الكبرى ومن المسؤول عنها . وتليها مقالة عن معالجة السل باملاح الذهب . وبعدها بحث تاريخي عنوانهُ اسلوب المؤرخين العرب . ثم كلام على الخيل المصرية والخيل العربية . ويليهِ خطبة بليغة في الغرائز السكيولوجية الثلاث ثم نبذة عن كنوز البحار وغرائب انتشالها . وبعدها كلام على البقر الحلوب . فمقالة في الادب المصري في القرن التاسع عشر . ثم كلام على ثروة الولايات المتحدة الاميركية . وبعدهُ وصف للانقلاب الكبير الذي حدث في تركيا فتناول السياسة والدين والملابس ومقام النساء في الهيئة الاجتماعية التركية . ويلي ذلك كلام على ما يقولهُ بعض علماء اليسوعيين في تأييد مذهب النشوء والارتقاء . فمقالة عن المدارس الاميركية في الشرق الادنى . ثم بحث مسهب عنوانهُ ارتقاء وسائل التخاطب في خمسين سنة . وبعدهُ مقالة في المعتقدات

التي يقوم عليها مذهب تناسخ الارواح . ثم قصة مصرية عنوانها الشيخ مرعي صبيح . فمقالة تصف رباعيات فرحات ثم نبذ في اسلوب الفكر العلمي والاحوال الزراعية في فلسطين والعناية بالطفل والفيتامين في البازلا والمعرض الزراعي الصناعي والسكان والاطيان في مصر واغاء الاشجار بالكهربائية وغرائب النبات وغير ذلك

اراء العظماء والادباء في المقتطف

ولقد استوى في الثناء على المقتطف والاعتراف بالخدمة التي قام بها للبلاد التي يتكلم اهلها العربية العظماء والادباء وارباب الرأي على اختلاف مواطنهم واديانهم ومحلهم واحزابهم السياسية اذ ليس للعلم دين او وطن بل دينهُ الانسانية ووطنهُ العالم باسره

قال البرنس حشمت السلطنة في سنة ١٨٨٤ وهو ابن عم شاه ايران « حقًّا اني لقد وجدت المقتطف افضل من كثير غيره من الجرائد الفلسفية التي تطبع الآن في مراكز التمدن المختلفة »

وقال صاحب الدولة شريف باشا عنهُ في سنة ١٨٨٥ وهي سنة المقتطف الاولى في مصر « لما كان المقتطف خير ذريعة لنشر المعارف بين المتكلمين بالعربية فلا عجب اذا نال ما نال من رفعة المقام في اعتبار الخاصة والعامة معًا ولا ريب عندي ان عقلاء مصر ونبهاءها لا ينفكون عن تعميم فوائده ولا يتقاعدون عن السعي لنشر علومهِ بينهم لاسيما وقد علموا ان انارة الاذهان وتثقيف العقول اقوى واسطة لحفظ الامة وشد عرى اتحادها »

وقال صاحب الدولة رياض باشا في السنة نفسها «ان للمقتطف عندي منزلة رفيعة وقد ولعت بمطالعتهِ منذ صدوره الى اليوم فوجدت فوائدهُ تتزايد وقيمتهُ تعلو في عيون عقلاء القوم وكبرائهم ولطالما عددتهُ جليسًا انيسًا ايام الفراغ والاعتزال ونديمًا فريدًا لا تنفد جعبة اخبارهِ ولا تنتهي جدد فوائدهِ سواء كان في العلم والفلسفة او في الصناعة والزراعة التي عثرت فيها على فوائد لا تُثمن »

وقالت جريدة تريبون الانكليزية وهي جريدة مشهورة وتعنى بانتقاد الكتب والمجلات الشرقية والغربية في سنة ١٨٨٣ « ان المقتطف واسطة الاتصال بين اسمى معارف عصرنا العلمية التي تنشر في الجرائد الاوربية والاميركية وبين اذهان المتكلمين بالعربية وتتضمن عدا ذلك ابحاثًا مبتكرة دقيقة المعاني في المواضيع الجارية الآن وكثيرًا من الفوائد العلمية الموافقة لاحتياجات البلاد »

وقال احد مشاهير الكتاب في سنة ١٨٩٢ في مجلة القرن التاسع عشر اشهر المجلات الانكليزية ما ترجمتهُ « مضى على المقتطف ستة عشر عاماً افاد في خلالها في ترقية العلوم والآداب والصنائع وذلك هو الغرض الذي انشئ لاجلهِ ولا شبهة في ان لهُ يداً في نشر الحضارة والتهذيب »

وقال غيرهُ في مجلة الاستقلال الاميركية بعد ان عدَّد مواضيع الجزء الاول من السنة الحادية عشرة وكان قد فتحهُ اتفاقاً ما محصلهُ « ما اشهى هذه المباحث واحبها الى معلم تلقى دروسهُ في المدرسة الكلية ثم انقطع عن معاشرة العلماء في قرية من مجاهل لبنان » الى ان قال « وقلما يخلو جزءٌ منهُ من المناظرات وقد يشتد الحجاج فيها بين المتناظرين وذلك يتعب الخواطر و يشحذ الاذهان »

وقال لورد كرومر في كتاب ارسلهُ مع صورتهِ الى احد منشئي المقتطف في سنة ١٩٠٧ « ارجوا ان تقبل صورتي المرسلة اليك طي هذا كتذكار طفيف لملاقاتنا السابقة ومعها شكري الخلص للمساعدة الكبيرة التي ساعدت بها مدة سنين كثيرة الارتقاء العقلي في هذه البلاد »

و يمتد بي نفس الكلام اذا رحت اسرد ما قالهُ فيهِ غير هؤلاء من العلماء والادباء وارباب السياسة مثل الفيلسوف الدكتور كرنيليوس فانديك والشيخ حسن الجسر والشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ يوسف الاسير والشيخ احمد القوصي والسيد قاسم الكتبي وغيرهم مما هو مسطور على صفحات المقتطف او محفوظ عند صاحبيهِ ولم ينشر

فكرة الاحتفال بيوبيل المقتطف

ولكن لا بد لي من ان اشير الى اجتماع خصوصي عُقد ابان الحرب العامة حينما بلغ المقتطف سن الاربعين من حياتهِ في منزل الاستاذ الفاضل المرحوم اسماعيل بك عاصم. فقد حضر هذا الاجتماع عدا ارباب الصحف اصحاب الدولة حسين رشدي باشا وعدلي يكن باشا و يحيى ابرهيم باشا وصاحب الفضيلة الشيخ محمد بخيت وصاحب السعادة احمد زكي باشا وصاحب العزة احمد بك لطفي السيد وغيرهم فخطب المرحوم اسماعيل بك عاصم منوهاً بالخدمة الكبرى التي قام بها المقتطف لابناء العربية والروح العلمي الذي بثهُ فيهم واشار الى الاستفادة التي نالها شخصياً من مطالعتهِ للمقتطف . وتعاقب الخطباء بعدهُ فاشاروا الى الفوائد التي جنوها هم ايضاً من المقتطف والفضل الذي كان لهُ باثارة اذهانهم في

كثير من الامور العلمية والصناعية والصحية والاجتماعية . وزاد السيد رشيد رضا على ذلك بان قال ان من حق المقتطف على الامة العربية ان تحتفل بهِ في الوقت المناسب ورجا ان يكون ذلك متى بلغ الخمسين من حياتهِ النافعة . وكان من حسنات ذلك الاجتماع الذي كان المقتطف الباعث عليه السعي الى انشاء مجمع لغوي للتعاون على خدمة اللغة العربية بالطرق التي يقتضيها هذا العصر

الخاتمة

ايها السادة : ان ما قالهُ اسماعيل بك عاصم وغيرهُ من الخطباء من حيث الاستفادة من المقتطف هو لسان حالي وحال سائر متخرجي جامعة بيروت الاميركية الذين انوب عنهم . فاننا نحن المتخرجين في هذه الجامعة مدينون للمقتطف ولمصر التي اظلتهُ فشبَّ واكتهل تحت سمائها ولكل مجلة عربية علمية او ادبية تنقل لنا ما صلح من علوم الغربيين وتمدنهم . وجيدا لو امكننا جميعاً انشاء المجلات ولكن الله لم يهب لسوى القليل من المتخرجين وغيرهم من العلماء والادباء المقتدرة على اقتفاء خطى صاحبي المقتطف والعمل لافادة الشرق من هذا السبيل

ولقد تمَّ في هذا العام ما اقترح منذ عشرة اعوام وهو احتفال الامة العربية بعيد المقتطف الخمسيني واذا شئتم الحقيقة فان هذا الاحتفال هو بالرقي الذي بلغتهُ الصحافة العربية بوجهٍ عام بل بالنهضة العلمية والاجتماعية في البلاد الشرقية . واذا كان لصاحبيَّ المقتطف فضل في جهادهما فهذا الجهاد لاقى تربة صالحة في مصر ولعلَّ المقتطف لم يكن ليعيش لولاها

ولقد اغتنمنا نحن متخرجي جامعة بيروت الاميركية هذه الفرصة للاشتراك مع المحتفلين بعيد المقتطف في مصر والاعتراف بفضلهِ علينا إبّان تلقينا دروسنا في الجامعة وبعد تركنا اياها . فلقد كان لنا منهُ نفع كبير في مختلف اعمالنا في الحياة

ان عاصمة الديار المصرية قد اصبحت عاصمة البلاد الشرقية واصبح شعبها في مقدمة بني الشرق في كل ابواب الرقيّ

والبلاد الشرقية منبع التمدن وام العمران ومصر من اعرق البلدان الشرقية في المدنية ان لم تكن اعرقها . ولقد رحل التمدن من الشرق الى الغرب لاسباب كثيرة يطول شرحها فهل بدأ يعود ؟

نعم ايها السادة : لقد بدأ يعود وهذه النهضة التي اشرت اليها اجمالاً في كلامي بدء عودته وان احتفالاً كهذا بجملة عملية يرأسه وزير من وزراء مصر ويلبي الدعوة الى الاشتراك به مثل هذا الجمهور من نخبة اهل الفضل واولي الرأي وقادة الفكر على اختلاف مشاربهم ويرن صداه في جميع البلاد التي ينطق اهلها بالضاد فتشترك فيه عن بعد ونقيم احتفالات نظيره في اليوم عينه لهي اقوى الادلة على ان الحياة العلمية اخذت تدب في الشرق . ومتى انبعثت الحياة العلمية في جسم امة لبست من التمدن ثوباً قشيباً وعاشت المعيشة الحرة التي تتوق اليها

وان بلاداً يضع مليكها مثل هذا الاحتفال تحت رعايته السامية منيباً عنه فيه رئيس ديوانه العالي تشجيعاً للصحافة العلمية ويجل شأن العلماء والمشتغلين بالعلم وينشطهم ويجعل العلم وترقية شؤونه في مقدمة اعماله على رغم المهام الاخرى والمشاكل السياسية والاقتصادية التي يعالجها . وبلاداً ينبغ فيها من الافراد والزعماء من لا اسمي بعضهم لئلا يظن البعض الآخر اني ابخسه حقه، لا بد من ان تخطو خطى واسعة في الرقي في سلم المدنية الى ان تعيد الى الشرق مدنيته بثوب قشيب فتتسنم ذرى المجد وتصبح فخر الشرق والشرقيين

بقيت لي كلمة صغيرة لا اود العودة الى مكاني دون ان اقولها وهي تتعلق بالمرأة وعود المدنية الى الشرق :

لقد كانت المرأة في الشرق في عهدها الاول كما تعلمون سبباً لسقوطها وسقوط الرجل معها من النعيم الى الشقاء . واذا كان هذا الاحتفال بعيد المقتطف الذهبي التي كانت النابغة (مي) في مقدمة الساعين الى تحقيقه يؤدي الى احتفالات نظيره لاكرام سائر المجاهدين في سبيل رفع منار العلم من الصحافيين والادباء وايقاد نار الغيرة في شبابنا الناهض ليحذو حذوهم فيكون للمرأة قسط كبير في سرعة عود المدنية الصحيحة الى الشرق، مدنية العلم العالي الذي يرقي الانسانية ويجعل الناس اخوة يعيشون في نعيم من الوئام والمحبة . وتكون امرأة هذا العصر قد كفرت عن ذنب امها في عصر الانسان الاول

سعيد شقير